انتصار الله لنبيه من المشركين والمنافقين واليهود في القرآن الكريم

أ.د . عادل بن علي الشدي (*)

تمهيد :

الحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وصلى الله وسلَّم على رسوله الكريم، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد جاءت بعثت المصطفى ﷺ لتجدد ما اندرس من دين إبراهيم عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله، ونبذ كافة أنواع الشرك والتعلق بغير الله، ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وأراد الله ﷻ أن يكون هذا النبي هو آخر حبة في عقد النبوة، فاصطفاه من خلقه واصطنعه على عينه، وهيأه لحمل رسالته، وآواه وهداه وأغناه ورباه، وأودع فيه من صفات الكمال البشري ما لم يجتمع في بشر؛ حتى لا يحتاج الناس بعده إلى أحد، وتبقى شريعته صالحة لكل زمان ومكان، قال تعالى ممتنًّاعلى نبيه ﷺ بحفظه ورعايته وتيسير أسباب الحياة الكريمة والهداية والغنى له: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى:٦-٩].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «هذه ثلاث منن لله تعالى على رسوله منَّها عليه وذكَّره بها؛ ليوقن أن الله معه وله، وأنه ما تركه ولن يتركه، وحتى تنتهي فرحة المشركين ببطء الوحي وتأخره بضعة أيام.

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الملك سعود والمشرف على كرسي م. عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة.

فالمنة الأولى: أن والد النبي ﷺ قد مات عقب ولادته وأمه ماتت بعيد فطامه، فآواه ربه بأن ضمه إلى عمه أبي طالب، فكان أبا رحيمًا وعمًّا كريمًا له وحصنًا منيعًا له، ولم يتخل عن نصرته والدفاع عنه حتى وفاته.

والثانية: منة العلم والهداية، فقد كان ﷺ يعيش في مكة كأحد رجالاتها لا يعرف علمًا ولا شرعًا وإن كان معصومًا من مقارفةِ أي ذنبٍ أو ارتكابِ أيةِ خطيئةٍ، إلا أنه ما كان يعرف إيمانًا ولا إسلامًا ولا شرعًا، كما قال تعالى: {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ} [الشورى:٥٢].

والثالثة: منته عليه بالغنى بعد الحاجة، فقد مات والده ولم يخلف أكثر من جارية، هي بركة أم أيمن، وبضعة جمال، فأغناه الله بغنى القناعة، فلم يمد يده لأحد قط»[١].

ومن مظاهر حفظِ الله لنبيِّه ﷺ ورعايتِه وكفايتِه: انتصاره له من المشركين والمنافقين واليهود:

---

(١) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري جابر بن موسى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م،(٥/٥٨٦-٥٨٧).

أولا: انتصار الله لنبيه ﷺ من المشركين

١- الرد على تكذيب المشركين للرسول ﷺ:

دأب المشركون على تكذيب الأنبياء ورميهم بكل نقيصة؛ بغية تشويه صورتهم وسيرتهم أمام الناس؛ حتى يتفرق الناس عنهم ولا ينقادوا لدعوتهم، وقد نال نبينا ﷺ قسطًا وافرًا من التكذيب والافتراء على الرغم من أنهم لم يجربوا عليه كذبًا قط، بل كانوا يلقبونه بالأمين؛ لصدقه وأمانته، فلما اختصه الله تعالى بالنبوة والرسالة حسدوه وشَرِقُوا بدعوته وناصبوه العداء.

ولقد ردَّ الله على تكذيبهم رسوله ﷺ ، وفند شبههم في آيات كثيرة، منها ما يلي:

*قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: «رَدَّ الله عليهم ذلك بأن هذا مكابرة منهم وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد، وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ وكمال صدقه وأمانته وبره التام، وأنه لا يمكنه لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه، وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك، فقد جاءوا بهذا القول ظلمًا وزورًا»(١).

* وقد فند الله تعالى هذا الادعاء في موضع آخر من الكتاب العزيز، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة يونس:٣٧-٣٨]، والمعنى:«فإن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تفسير السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، (ص ٥٧٨).

ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند الله، وقلتم كذبا إن هذا من عند محمد، فمحمد بشر مثلكم، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن، فأتوا أنتم بسورة مثله، أي: من جنس القرآن، واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان»(١).

فلما عجزوا عن ذلك وهم أهل الفصاحة والبيان تبين أنهم كاذبون في دعواهم، وأن محمدا ﷺ هو الصادق في قِيله، وأن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٢- الرد على اتهامهم له ﷺ بالسحر والشعر والكهانة والجنون:

لما كان النبي ﷺ أفضل قومه نسبًا، وأزكاهم أرومةً، وأحسنهم خلقًا، وأعظمهم صدقًا وأمانةً ونصحًا لقومه- لم يجد المشركون بدًّا من وصفه بصفات هم أول العالمين بأنه ﷺ بعيد عن الاتصاف بشيء منها، ولكنه العناد والاستكبار والجحود، فتارة يقولون: ساحر، وتارة: كاهن، وتارة: شاعر، وتارة: مجنون، وقد توافقوا في ذلك مع المكذبين للرسل من الأمم الأخرى في بعض ما وصفوا به أنبياءهم،وزادوا عليهم في الافتراء؛ ولذلك قال الله تعالى: {كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات:٥٢]، وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨] أي: «أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو»(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٤/٢٦٩).

(٢) السابق، (١/٤٠٠)؛ وانظر: تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء(ت٦٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (١/١٥٨).

* قال تعالى: { وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ } [ص:٤]، بين الله ﷻ أن المشركين لا عذر لهم في تكذيبهم للنبي ﷺ؛ لأنه منهم يعرفون صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه، وكانوا ينزلون على رأيه في أمورهم المهمة، فكيف يتهمونه الآن بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وحذرهم من الشرك بأنه ساحر كذاب؟!

*وقال سبحانه مبرئا نبيه ﷺ من فرية تعاطي السحر والكهانة: {إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ } [الحاقة:٤٠-٤٣]،والمراد: أن هذا الرسول ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر؛ لأن حاله منافٍ لحالهم من وجوه ظاهرة كثيرة، منها: أن الكهان والسحرة يكذبون ويخلطون الكذب بالصدق وهو ﷺ لم يؤثر عنه كذبًا قط، وأنهم يدعون إلى العداوة والبغضاء والكراهية بين الناس وهو يدعو إلى العفو والتسامح والتعاون بين الناس، وأنهم يدعون إلى الشرك وهو ﷺ يدعو إلى التوحيد، وأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل وهو ﷺ لم يطلب على دعوته أجرًا ولا يريد جزاء ولا شكورًا، وأنهم يدعون علم الغيب وهو ﷺ يقول: { لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ } [الأعراف:١٨٨].

٣- الرد على استهزائهم به وسخريتهم منهﷺ :

لجأ المشركون إلى أسلوب آخر من أساليب تكذيب النبي ﷺ، وهو أسلوب الاستهزاء والسخرية، وهذا الأسلوب يلجأ إليه الشخص عند انقطاع حجته، والعجز عن مواجهة الخصم، والهروب من المواقف التي يظهر فيها ضعفه، في مقابل ثبات الخصم وقوة حجته وصدق براهينه.

* وقد أشار القرآن الكريم إلى لجوئهم إلى هذا الأسلوب في قوله تعالى: { وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ } [الفرقان:٤١-٤٢]

والاستفهام في قولهم: {أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا }وقولهم: {أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ}أرادوا به تحقير النبي ﷺ، كما تدل عليه قرينة قوله: {إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا}، وقد تقرر في فن المعاني: أن من الأغراض التي تؤدي بالاستفهام التحقير[(١)].

وقد رَدَّ الله عن نبيه ﷺ وانتصر له منهم؛ حيث توعدهم بالعذاب الأليم والمصير الذي يستحقونه جراء كفرهم وعنادهم، قال تعالى: { وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا } [الفرقان:٤٢]، وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم[(٢)].

* وتبلغ بهم السخرية والاستهزاء والتحقير من شأن النبي ﷺ مداه حين قرروا من هو أولى بنزول الوحي عليه من النبي ﷺ! فقالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[الزخرف:٣١-٣٢]، «يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في أعينهم،

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م،(٣٢/٢٢).
(٢) انظر: السابق (٢٢٠/٦).

﴿مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ أي: مكة والطائف؛ وذلك لأنهم –قبحهم الله– كانوا يزدرون بالرسولﷺ؛بغيًا وحسدًا وعنادًا واستكبارًا»(١).

وقد رَدَّ الله عليهم وانتصر لنبيه ﷺبقوله: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾«أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلًا»(٢).

* ومن الأدلة على استهزائهم بالنبي ﷺ قوله تعالى:{وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾} [الفرقان:٧].

فأنزل الله ﷻ قوله: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ} [الفرقان:٢٠](٣).

وقد كفى الله رسوله ﷺ المستهزئين بالردود المفحمة والأجوبة المسكتة التي كانوا يقفون أمامها متحيرين؛ لقوة حججها وصدق براهينها، ولأنها أدلة عقلية تتفق العقول الصحيحة على موافقتها، والإذعان لها؛ ولهذا قال سبحانه: { إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ } [الحجر:٩٥]، قال القاضي عياض:«لما نزلت بشر

(١) تفسير ابن كثير (٣٣٢/٣).
(٢) السابق، (٢٢٦/٧).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م، (١٣/١٣).

النبي ﷺ بذلك أصحابه، بأن الله كفاه إياهم»[1]، وقد أهلك الله رؤوس المستهزئين وقتلهم شر قتلة، وكفى الله رسوله ﷺ أذاهم[2].

٤- الرد على تعنتهم في طلب المعجزات:

فشل المشركون في تشويه صورة النبي ﷺ عن طريق اتهامه بالسحر والكهانة والشعر والجنون، وقد اعترف كبارهم بتهافت هذه الافتراءات وبطلانها، كما فشلوا في تشويه دعوة النبي ﷺ وإثبات ما ادعوه عليه زورًا من الكذب، بل إنه ﷺ كان يثبت لهم صدقه وصحة بعثته بالبراهين العقلية التى لا يختلف العقلاء في صحتها والإقرار بها، لكنهم بسبب الحسد وشدة العداوة «لجأوا على سبيل المكابرة والتحدي إلى المطالبة بالمعجزات المادية غير المعقولة، وتمسكوا بالمستحيل من أجل إظهار الضعف وإبطال المبدأ وإخراس كلمة الحق والهداية والرشاد؛ تمسكًا بعبادة الوثنية، وتحديًا للنبوة ورسالة السماء، وإصرارًا على أبهة الزعامة والرياسة في أرجاء مكة وأمام العرب قاطبة، وإحراجًا لنبي الله الذي هو بشر يؤيده الله بما شاء من المعجزات، وهذا التعنّت والعناد دوّنته آيات من القرآن الكريم إظهارًا لموقف المكابرين والمعاندين وإبطالًا لأقوالهم، وتجميدًا لمواقفهم وأفعالهم»[3].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٦٩/١).

(٢) انظر: السنن الكبير=السنن الكبرى، للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ هـ)، تحقيق: مركز هجر، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م، (٢٦/١٨)؛ والمعجم الأوسط، للطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (١٧٣/٥)؛ وهو في صحيح السيرة النبوية، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية،عمان، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ، (ص٢٢٠).

(٣) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (١٥٦١/٢).

* فمن الآيات الدالة على تعنتهم في طلب المعجزات قوله تعالى: { وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ } [طه:١٣٣]، «أي: وقال المشركون: هلا يأتينا بمعجزة تدل على صدقه في دعوى النبوة»[١].

فبين الله لهم أنه أنزل على نبيه ﷺ أعظم الآيات وهو القرآن العظيم، وفيه من أخبار الأنبياء وما فعل بالمكذبين مقنع لمن أراد الهداية وسلوك سبيل الحق، قال تعالى:{ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ} [طه:١٣٣] والصحف الأولى هي الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل.

* ومن شدة تعنتهم أنهم انتقلوا في طلب الآيات من الإجمال إلى التفصيل إمعانا في العناد والتكذيب، قال تعالى: { وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ} [الفاتحة:٩٠-٩٣]؛ ولذلك جاء الرد مباشرا وقاطعا: {قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا } [الإسراء:٩٣]،«والمعنى: أنِّي رسولٌ أمِرْتُ بتبْليغِ الشَّرائِعِ والأحْكَام إلَيْكُم، واللَّه تعالى قد أقامَ الدلالة على صِحَّةِ دعْوَى الرِّسالة بإظْهَارِ أنواعٍ كثيرةٍ من المُعْجِزَات، وطلبُ الزِّيادة بَعْدَ ذلك من بابِ التَّعَنُّتِ، وذلك لَيْس في وُسْعِي»[٢].

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م، (١٦٩/١٦).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل أبي حفص سراج الدين عمر بن علي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، (٥٤٢/٧).

*ومن مطالباتهم واقتراحاتهم السخيفة أن يكون مع النبي ﷺ ملكا يساعده: { وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ } [الأنعام:٨]، فبين الله تعالى أن الرسول لا بد أن يكون من جنس المرسل إليهم حتى تتم إقامة الحجة ويكون التخاطب بينهم على أكمل الحالات، قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } [الأنعام:٩].

وقد بين القرآن الكريم في آيات أخر أنه لو تحققت مطالبهم فإنهم لن يؤمنوا، بل سيختلقون الأسباب التي تمنعهم من الإيمان كما قال سبحانه: { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ }[الحجر:١٤-١٥]، وقوله: {۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الأنعام:١١١].

٥- الرد على تآمرهم على حبسه أو قتله أو نفيه ﷺ :

بعد أن باءت كل محاولات المشركين-للنيل من رسول الله ﷺ معنويًا- بالفشل اتجه المشركون إلى إيذاء النبي ﷺ في بدنه: إما بالوثاق والحبس، وإما بالإبعاد والنفي، وإما بالقتل.

* وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ } [الأنفال:٣٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي ونصحٌ. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يُواثبكم في أموركم بأمره.

قال: فقال قائل: احبسوه في وَثاق، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدوُّ الله الشيخ النجدي فقال: والله، ما هذا لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا.

قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذَ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرَض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأيًا غير هذا!

قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره! قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا وَسيطا شابًّا نَهْدًا، ثم يُعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القولُ ما قال الفتى، لا أرى غيره!

قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمِعون له، قال: فأتى جبريل النبيَّ ﷺ فأمره ألَّا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذِن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة «الأنفال»، يذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ } [الأنفال:٣٠](١).

---

(١) أخرجه الطبري محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) في جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٤٩٥/١٣)؛ ورُويت هذه القصة في السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام=

وروى أحمد في مسنده عن ابن عباس، قال: «إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمدًا، لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة ﵂ تبكي، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش، قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك، لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: **يا بنية، أريني وضوءًا**، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه، قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: **شاهت الوجوه**، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا»[(١)].

وقوله: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ} قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرًا وكيدًا واستهزاءً وخداعًا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة،

=الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، (١/٤٨٠-٤٨٢)؛ ودلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م، (رقم ١٥٤)؛ وشرف المصطفى ﷺ، للنيسابوري أبي سعد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي (ت٤٠٦ هـ)، تحقيق: نبيل بن هاشم الغمري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م،(٣/٣٥١-٣٥٤).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ): تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م،(رقم ٢٧٦٢). وانظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (رقم ٦٥٠٢).

وقيل-وهو أصوب-: بل تسميته بذلك حقيقة على بابه؛ فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له؛ فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلًا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده»[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م، (١٧١/٣).

ثانيا: انتصار الله لنبيه ﷺ من المنافقين

١- الرد على دعواهم الإيمان بالرسول ﷺ :

لا شك أن النفاق الاعتقادي هو الداء العضال الباطن، الذي هو شر من الكفر والعياذ بالله،وهو أن يظهر الشخص للناس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به،«وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر»[(١)].

* والمنافقون كانوا لا يألون جهدًا ولا يدخرون وسعًا لإقناع النبي ﷺ بإيمانهم برسالته والتصديق ببعثته، وكانوا يستخدمون الأيمان الكاذبة للوصول إلى هذا الهدف، فأكذبهم الله ﷻ في ادعائهم الإيمان به، كما أكذبهم في ادعاء الإيمان بالنبي ﷺ بقوله: {إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١}[المنافقون:١]، قال القرطبي: «قيل: معنى {ﮓ} نحلف، فعبر عن الحلف بالشهادة؛ لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مغيب[(٢)]. وقال الماوردي: ويحتمل ثانيًا: أن يكون ذلك محمولًا على ظاهره، أنهم يشهدون أن محمدًا رسول الله اعترافًا بالإيمان ونفيًا للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ،(٣٥٥/١).

(٢) تفسير القرطبي،(١٢٢/١٨).

(٣) النكت والعيون = تفسير الماوردي: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٣/٦)؛ وذكره القرطبي أيضا في الموضع السابق.

فأخبر الله ﷻ أن ظاهر كلامهم صحيح فقال: {وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ} حقيقة لا كما يقوله هؤلاء بألسنتهم دون اعتقاد قلوبهم، ثم أخبر أنهم كاذبون في دعوى تصديق الرسول ﷺ؛ لأن قلوبهم منكرة لرسالته فقال: {وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}.

٢- الرد على سخريتهم واستهزائهم بالرسول ﷺ :

كان المنافقون حريصين على التخفي وعدم انكشاف نفاقهم؛ ولكن كان يظهر من فلتات ألسنتهم ما يدل على نفاقهم، وخبث سرائرهم، وكانوا يحسبون أن أمرهم خافٍ بصورة تامة على رسول الله ﷺ ؛ ولذلك قال تعالى: {أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ} [محمد:٢٩]،«الأضغان: ما يضمر من المكروه»(١).

* ومن فلتات ألسنتهم التي تدل على نفاقهم: ما صرحوا به من أنه ﷺ أذن، أي: لا يعرف الصادق من الكاذب، بل كل مَن حدَّثه شيئًا صدقه، وهذا استهزاء وسخرية من النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ [التوبة:٦١]، فرد عليهم ﷻ بقوله: {قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ} [التوبة:٦١]، أي: يقبل مَن قال له خيرًا وصدقًا.

* ومن استهزائهم بالرسول ﷺ ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥} [المنافقون:٥].

قال القرطبي:«لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتضحتم بالنفاق؛ فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم.

---

(١) تفسير القرطبي،(٢٥١/١٦).

فلووا رؤوسهم، أي: حركوها استهزاء وإباء، قاله ابن عباس(١)»؛ ولذلك كان الجواب حاضرا والعقوبة من جنس أفعالهم: { سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ } [المنافقون:٦].

٣- الرد على اتهامهم الرسول ﷺ في عرضه:

استخدم المنافقون في حربهم ضد الإسلام ونبي الإسلام ﷺ أخس الأساليب وأقذر الوسائل؛ فهم لا يعرفون شرف الخصومة، ولا يقفون عند حدفي حربهم على رسول الله ﷺ ، ومن هنا فقد آذوا النبي ﷺ وطعنوا في عرضه باتهام الطاهرة المطهرة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ﵂ بالفاحشة، وعملوا على نشر هذه الفرية وترويجها بين الناس،حتى سقط في وحلها بعض المؤمنين، فأشاعوا ذلك ورددوه دون تثبت أو تمحيص.

وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في قوله ﷻ: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾} [النور:١١].

قال ابن كثير في تفسيره:« هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين ﵂، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه ﷺ، فأنزل الله ﷻ براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ، فقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ } أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان، بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان

(١) السابق، (١٢٦/١٨).

بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن»[1].

وقد توعد الله ﷻ من وقعوا في هذا الإفك بالعقاب الأليم فقال: {لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ}، وقد حدَّ النبي ﷺ جماعة منهم، ثم أخبر تعالى عن شدة عذاب من دبر هذا الأمر وأشاعه وهو زعيم المنافقين عبد الله بن أبي فقال: {وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

٤- الرد على توعدهم بإخراج الرسول ﷺ وبيان تفكيرهم في قتله:

كحال المشركين تماما فكر المنافقون في التخلص من النبي ﷺ : إما بالنفي والطرد، أو بالقتل، وسرى هذا الهاجس في نفوسهم وساورتهم أحلامهم بالقدرة على تحقيق هذا الهدف والخلاص من النبي ﷺ .

* قال تعالى: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون:٨]، قائل ذلك هو رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، ويعني بالأعز: نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ -وحاشاه-[2]!«فردَّ الله عليه، فقال: {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ} المنعة والقوة، {وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} بإعزاز الله، ونصره إياهم، وإظهار دينهم على سائر الأديان، {وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ذلك، ولو علموا ما قالوا هذه المقالة»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٩/٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٢٠هـ،(٥٤٩/٣٠).

(٣) التفسير الوسيط، للزحيلي، (٣٠٤/٤).

* وأما تفكيرهم في قتل رسول الله ﷺ فهذا أحد أوجه تفسير قوله تعالى: {وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ} [التوبة:٧٤] «يعني: قصدوا ما لم يدركوه؛ فإنه رُوي أن اثني عشر نفرًا من المنافقين اجتمعوا في غزوة تبوك؛ ليغتالوا النبي ﷺ، ورُوي أنهم قصدوا أن يوقعوه من العقبة في الوادي، فدفع الله شرَّهم عن النبي»(١).

٥- الرد على لمزهم الرسول ﷺ في الصدقات:

كان المنافقون يعترضون على كل تصرفات النبي ﷺ، إلا فيما يحقق لهم مصالح ومكاسب مادية؛ مما يدل على عدم استقرار الإيمان في قلوبهم، ومن ذلك طعنهم على النبي ﷺ في قسمة الصدقات، ومن المعلوم أنه ﷺ لم يكن يعطي لهواه، بل كان يعطي أقوامًا لتأليف قلوبهم على الإسلام، ويعطي آخرين لتثبيت الإيمان في قلوبهم، ويعطي أصحاب الحاجات، وحسب الصالح الشرعية المتحققة من هذا العطاء،فيأتي هؤلاء المنافقون ويعترضون على قسمة النبي ﷺ، ويشيرون إلى أنه ﷺ غير مأمون في قسمته، كما قال سبحانه: { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [التوبة:٥٨]، قال النحاس: «والقول عند أهل اللغة قول قتادة والحسن، يقال: لمزه يلمزه إذا عابه، واللمز في اللغة العيب في السر»(٢).

(١) تفسير القرآن= تفسير السمعاني: لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (٣٢٩/٢). وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠٧/٨)، واكتفى بهذا الوجه السعدي في تفسيره (ص٣٤٤).
(٢) تفسير القرطبي،(١٦٦/٨).

قال الرازي: «اعلم أن المقصود من هذا شرح نوع آخر من قبائحهم وفضائحهم، وهو طعنهم في الرسول بسبب أخذ الصدقات من الأغنياء، ويقولون: إنه يؤثر بها من يشاء من أقاربه وأهل مودته، وينسبونه إلى أنه لا يراعي العدل»[1]!

وقوله تعالى: { فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [التوبة:٥٨] يدل على أن اعتراضهم لم يكن بقصد تحقيق العدالة كما يدعون، أو جور في قسمة النبي ﷺ وهو منزه عن ذلك، بل لرغبتهم في الحصول على جزء من هذه الغنائم ولو بغير حق.

ثم بين تعالى ما كان ينبغي على هؤلاء أن يفعلوه إن كانوا مؤمنين حقًّا، فقال: { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ } [التوبة:٥٩].

٦- الرد على ادعائهم أن انكشاف بيوتهم وخوفهم من الفتنة هو الذي منعهم من الجهاد مع رسول الله ﷺ:

اشتهر عن المنافقين عدم رغبتهم في الجهاد مع رسول الله ﷺ ؛ لأنهم ما كانوا ليخاطروا بأنفسهم في نصرة دين لا يؤمنون به،ولا في نصرة رسول يشكون في رسالته، ولا في تكثير سواد قوم يتمنون كسرهم وذهاب شوكتهم، وقد كانوا لا يثقون بنصر الله لنبيه ﷺ وللمؤمنين، ولا يثقون بوعد رسول الله ﷺ لهم بفتح فارس والروم.

* قال الله تعالى: { وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا } [الأحزاب:١٢]؛ ولذلك كانوا يختلقون الأعذار ويستئذنون النبي ﷺ في التخلف عن الجهاد، قال تعالى: {وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } [الأحزاب:١٣].

(١) التفسير الكبير، للرازي،(٧٥/١٦).

ثم بين الله تعالى خبث هؤلاء وإسراعهم في ترك بيوتهم وقراهم وأماكنهم للصد عن سبيل الله ﷻ حتى لو اجتيحت من كل مكان فقال: { وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا } [الأحزاب:١٤].

ثم ذكرهم الله ﷻ بما كانوا عاهدوا عليه بعد بدر من الثبات وعدم الفرار، وبين لهم أن الفرار لا يمنع عنهم القتل أو الموت؛ فالآجال مقدرة بوقت لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب:١٥-١٦]،«أي: لا تمتعون بعد الفِرار إلا مدة آجالكم، وهي قليل»[1].

* ومن معاذيرهم التي كانوا يختلقونها للتخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ أنهم كانوا يخشون الوقوع في فتنة النساء، فأرادوا التخلف عن الجهاد درءا لهذه الفتنة، وحفظًا لأديانهم! قال تعالى: { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ } [التوبة:٤٩]؛ فكذبهم الله بقوله سبحانه: { أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ } [التوبة:٤٩]، فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير؛ ولهذا توعدهم الله بقوله: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ} [التوبة:٤٩].

* *

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٥١٩/١٥).

ثالثا: انتصار الله لنبيه ﷺ من اليهود

١- إظهار تناقضهم في شأن نبي آخر الزمان:

كان اليهود قد أعطاهم الله فهمًا وعلمًا في التوراة، وكانوا قبل بعثة النبي محمد ﷺ ينتظرون نبيًّا سيبعث في آخر الزمان، وأنه قد حان أوانه، وأنه النبي الخاتم للنبوات، لكنهم ظنوا أن هذا النبي سيكون منهم أي: من بني إسرائيل، وضنوا به على غيرهم، وكانوا من خلال التوراة يعرفون من صفاته الكثير، وأنه سوف يقاتل الكفار، وكان بينهم وبين العرب في المدينة -من الأوس والخزرج- حروب، فكانوا يقولون لهم: لقد أظل زمان نبي يخرج بتصديقنا، فنقتلكم معه قَتلَ عاد وإرم، فلما بعث النبي محمد ﷺ من العرب من نسل إسماعيل عليه السلام كفروا به وكذبوه وناصبوه العداء وتآمروا عليه، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾} [البقرة:٨٩].

وقد ذكر الله تعالى أن معرفة علماء اليهود بصدق نبوة النبي محمد ﷺ وصلت إلى حد اليقين الذي لا شك معه ولا يدفعه غير العناد والاستكبار، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [البقرة:١٤٦].

٢- إظهار حسدهم للنبي ﷺ وأمته:

الحسد سبب من أسباب كفر اليهود بالنبي ﷺ وعداوتهم له، مع تيقن أكثرهم بنبوته، حتى أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلا يشتبه عليهم بغيره.

* وقد ذكر الله تعالى حسدهم للنبي ﷺ في الآية التي تلي آية البقرة السابقة في قوله: {بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ

مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ }[البقرة:٩٠]، «والمعنى: بئس ما باعوا به حظ أنفسهم، أي: حين اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار، { أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} [البقرة:٩٠] يعني: القرآن، {بَغۡيًا }أي: حسدًا، {أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ} أي: النبوة والكتاب، {عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ }محمد ﷺ»(١).

* وكذلك في قوله تعالى: { أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ }[النساء: ٥٤]، قال ابن كثير:«يعني بذلك: حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعَهم من تصديقهم إياه حسدُهم له؛ لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل»(٢).

* وأما حسد اليهود لأمته ﷺ فقد بينه تعالى في قوله: { وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ } [البقرة:١٠٩]، قال ابن كثير في تفسيره:«يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح، ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه»(٣).

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ): تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرايض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (١٢١/١).
(٢) تفسير ابن كثير،(٣٣٦/٢).
(٣) تفسير ابن كثير،(٣٨٢/١).

٣- الرد على تعنتهم في طلب الآيات المعجزة:

سار اليهود على درب المشركين في التعنت مع النبي ﷺ ، فطلبوا منه الآيات الحسية لتكون دليلا على صدق نبوته - على زعمهم- حتى يؤمنوا به،وما فعلوا ذلك إلا عنادًا واستكبارًا؛ لأن ما ذكره النبي ﷺ من أدلة كافٍ في الدلالة على صدقه والإقناع بنبوته.

* وقد بين القرآن جانبًا من تلك الآيات التي طلبوها، كما في قوله تعالى: { وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ } [البقرة:١١٨].

وقد ذكر الرازي أن هذه الشبهة تدور حول نقطتين:

الأولى: «أن الحكيم إذا أراد تحصيل شيء فلا بد وأن يختار أقرب الطرق المفضية إليه وأبعدها عن الشكوك والشبهات، فلِمَ لا يكلمنا الله مشافهةً و ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة، كما كلم الملائكة وكلم موسى وكلمك؟

الثانية: إن كان تعالى لا يفعل ذلك فلم لا يخصك بآية ومعجزة تدل على صدقك؟

وأجاب تعالى عن هذه الشبهة بقوله: كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون، وحاصل هذا الجواب: أنَّا قد أيَّدنا قول محمد ﷺ بالمعجزات، وبينَّا صحة قوله بالآيات، وهي القرآن وسائر المعجزات، فكان طلب هذه الزوائد من باب التعنت، وإذا كان كذلك لم يجب إجابتها»[(١)].

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/٤ باختصار).

* ومن الآيات التي بينت تعنت اليهود مع النبي ﷺ واقتراحهم الآيات قوله تعالى: { يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ } [النساء:١٥٣]، وفي قوله: { فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ } : توبيخ من الله جل ثناؤه لهم في مسألتهم إياه ذلك، وتقريع منه لهم، فإنهم من جهلهم بالله وجراءتهم عليه واغترارهم بحلمه، لو أنزل الله عليهم الكتاب الذي سألوا لخالفوا أمر الله كما خالفوه بعد إحياء الله أوائلهم من صعقتهم، فعبدوا العجل واتخذوه إلها يعبدونه من دون خالقهم وبارئهم الذي أراهم من قدرته وعظيم سلطانه ما أراهم؛ لأنهم لن يعدوا أن يكونوا كأوائلهم وأسلافهم(١).

وقد بين الله تعالى في آيات أخر كذب هؤلاء وتعنتهم في طلب الآيات والمعجزات الحسية، وأنهم لن يؤمنوا مهما تحقق لهم ما يطلبون؛ لأن قلوبهم منكرة قد ملأها الغل والحسد والبغضاء للنبي ﷺ.

٤- الرد على تلاعبهم بالألفاظ والأوصاف للطعن في الرسول ﷺ:

اشتهر اليهود بتحريف الكلام عن مواضعه، وذلك بتأويله تأويلا فاسدًا، وله لإفهام السامع معنى حسنًا، ويضمرون في أنفسهم معنى سيئًا، وكانوا يفعلون ذلك طعنًا في الدين، وسبًّا واستهزاء وتنقيصًا من مكانة النبي ﷺ ، ودعاءً عليه بالهلاك.

* وقد أشار القرآن إلى شيء من ذلك في قوله تعالى: { مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ } [النساء:٤٦].

(١) انظر:تفسير الطبري، (٣٥٨/٩).

قوله: {سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا}«أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك»[1]،«وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد»[2]، وذكر الرازي معنى آخر،وهو أن النبي عليه السلام كان إذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر: سمعنا، وقالوا في أنفسهم: وعصينا[3].

وقوله: { وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ}ذكر الرازي أن هذه الكلمة تحتمل المدح والذم، فهم يريدون أن يفهم النبي ﷺ منها معنى المدح، فيكون المراد: اسمع غير مسمع مكروهًا، ويضمرون في أنفسهم معنى الذم الذي يريدونه، وهو: اسمع لا سمعت، أو اسمع غير مقبول منك[4].

وكذلك قولهم للنبي ﷺ:{ وَرَٰعِنَا}، «أتوا بلفظ ظاهره طلب المراعاة، أي: الرفق[5]، «فهذه الكلمة كان المسلمون يقولونها للنبي ﷺ يقصدون بها معنى المراعاة أي: راعنا سمعك، بمعنى: فرغ سمعك لكلامنا،وهي تحتمل معنى قبيحًا من الرعونة وهي الحمق والجهل والاسترخاء [6]، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسبُّ محمدًا سرًّا، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺلأضربن عنقه، قالوا: أو لستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي،(٥/٢٤٣).
(٢) تفسير السعدي،(ص١٨٠).
(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي،(١٠/٩٣).
(٤) انظر: السابق،(١٠/٩٤).
(٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد= التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، ١٩٨٤م، (٥/٧٦).
(٦) انظر: تفسير ابن كثير،(١/٣٧٣،)؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، (٢/٢٣٠)؛ واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل،(٢/٩٥٣)؛ والتحرير والتنوير (٥/٧٦).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]؛ لكيلا يتخذ اليهود ذلك سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ»[١].

وقيل: كانوا يلوون ألسنتهم حتى يصير قولهم: راعنا: راعينا، وكانوا يريدون أنك كنت ترعى أغناما لنا[٢]، وهناك معان أخرى قبيحة ذكرها المفسرون[٣].

والحاصل أن اليهود أرادوا من ذلك سب النبي ﷺ والاستهزاء به؛ ولذلك قال تعالى: { لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} [النساء:٤٦] أي تحريفًا،{ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ } «يعني: بسبهم النبي ﷺ»[٤].

ثم بين الله تعالى أنهم قوم مخذولون محرومون من الخير، مطرودون من رحمة الله؛ بسبب عنادهم ومعاداتهم رسول الله ﷺ، فقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء:٤٦].

* *

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل،(٣٥٩/٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير، للرازي(٩٤/١٠)؛ والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ(٥٤٣/١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، إشراف أ. د.الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، (١٣٤٧/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري،(٤٦١/٢)؛ وتفسير القرطبي،(٥٧/٢).

(٤) تفسير ابن كثير،(٣٢٤/٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا البحث، الذي استقينا موضوعه وتقسيماته من آيات القرآن الكريم، وما ذكره أهل التفسير والمعاني حول الآيات التي تتناول موضوع البحث الذي أختمه ببعض النتائج والتوصيات:

أولًا: أبرز النتائج:

١- من صور حفظ الله ورعايته لنبيه الخاتم محمد ﷺ: انتصاره له ودفاعه عنه، والرد على أعدائه من المشركين والمنافقين واليهود.

٢- من كرامة النبي ﷺ على ربه أن القرآن الكريم لم يترك شاردة ولا واردة عاب بها المكذبون رسول الله ﷺ على اختلاف طوائفهم، إلا وتصدى لهم بالرد والتوبيخ والوعيد، مع بيان تهافت شبهاتهم وسماجة عقولهم وتناقض أقوالهم.

٣- ركَّز المكذبون لرسول الله ﷺ حملاتهم في الطعن على القرآن الكريم، وادعاء أنه ليس كتابًا سماويًّا من عند الله؛ لأنهم يعلمون أنه إذا ثبتت هذه الفرية في أذهان الناس فإنه لن تقوم قائمة لهذا الدين، وسوف ينصرف الناس عن تأييد النبي ﷺ ونصرته؛ لأن القرآن هو أعظم ما أوتيه النبي ﷺ من براهين نبوته، فإذا سقط هذا البرهان سقطت نبوته ﷺ تبعا لذلك.

٤- ظهر في ثنايا البحث اتفاق المكذبين للرسل على اختلاف عصورهم في أسباب وبواعث التكذيب وقائمة الادعاءات والافتراءات التي يدعونها على الرسل، وكأنهم يوصي بعضهم بعضا بذلك.

٥- ظهر كذلك تناقضهم الفاضح في ادعاءاتهم على النبي ﷺ: فتارة يقولون: شاعر، ساحر، كاهن، وتارة يقولون: مجنون،حتى إن بعضهم قد سخر منهم في ذلك وطالبهم بالاتفاق على فرية واحدة يجتمعون عليها.

٦- كان تحدي الله تعالى لطوائف المشركين المكذبين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو يأتوا بسورة من مثله هو أعظم انتصار من الله تعالى للنبي ؛ لأنه إذا كان من كلام النبي ﷺ أو تعلمه من غيره فلماذا عجزوا عن الإتيان بمثله وهم أهل اللغة والفصاحة والبيان؟! فلما عجزوا تبين أن القرآن كلام الله، لا كلام النبي محمد ﷺ .

٧- الاستهزاء والسخرية من النبي ﷺ والتعنت في طلب الآيات واقتراح حدوث أشياء على خلاف نواميس الكون- يمثل فشلًا ذريعًا وانهزامًا واضحًا أمام حقائق الإيمان وبراهين النبوة.

٨- إيذاء النبي ﷺ أو نفيه أو التخلص منه هو قمة انحدار التفكير البشري، وغلبة نزعة الشر في النفس الإنسانية التي لم تكتفِ بعدم قبول الحق، بل أرادت ألا يصل هذا الحق إلى أحد من البشر.

٩- للمنافقين علامات يعرفون بها، والمنافقون أنواع وأقسام، ومراتبهم متفاوتة في شدة النفاق والكفر.

ثانيا: أبرز التوصيات:

١- من حقوق النبي ﷺ على أمته: الدفاع عنه، والانتصار له،والرد على منكري نبوته؛ أسوةً بالكتاب العزيز، وخاصة في هذه الأزمنة التي كثرت فيها حملات التشهير والانتقاص من مكانة النبي ﷺ.

٢- ينبغي الاهتمام بقضية الانتصار للقرآن الكريم، والرد على الشبهات والمطاعن التي يثيرها أعداء الإسلام للطعن في نبوة نبينا محمد ﷺ ، وقد تبين من منهج الكتاب العزيز أن الدفاع عن القرآن الكريم وبيان إعجازه وأنه وحي من عند الله تعالى من أعظم صور الانتصار للنبي محمد ﷺ ، وبيان صدق نبوته.

٣- تبين أن من أعظم أسباب معاداة النبي ﷺ في عصر النبوة: العناد والاستكبار والحسد، مع العلم بأنه ﷺ رسول الله حقًّا، أما في هذه العصور المتأخرة فيمكن أن يكون الجهل هو من أعظم أسباب عدم الإيمان بنبوة النبي ﷺ ، وهذا يحتم علينا بذل المزيد من الجهود لإظهار حقيقة الإسلام وعظمة شخصية النبي ﷺ ، وقدرتها على علاج مشكلات البشرية في هذا العصر.

٤- كان انتصار الله تعالى لنبيه ﷺ بمثابة حملة إعلامية مضادة لكل الشبهات والافتراءات التي تبثها الأذرع الإعلامية التي يمتلكها أعداء النبي ﷺ وأعداء هذا الدين، وهذا يدعونا إلى الاهتمام بالجانب الإعلامي بحيث لا نعطي فرصة لتشويه هذا الدين والانتقاص من قدر نبينا وحبيبنا محمد ﷺ ، ولكي يسمع الناس منا أكثر مما يسمعون عنا.

٥- ينبغي استلهام منهج القرآن الكريم في الانتصار للنبي ﷺ أو الدفاع عن الإسلام، وهو منهج قائم على تقديم الحجج والبراهين العقلية والنقلية البعيدة عن الإسفاف والسفسطة والاستعلاء على الآخرين، وهذا يحتم أن يكون القائم بهذه المهمة على قدر من العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وعلى دراية بمستجدات العصر والشبهات التي تتجدد يومًا بعد يود، وكيفية تفنيدها والرد عليها.

٦- على أهل الإيمان ألَّا يلجؤوا إلى أساليب غير شرعية لإثبات معتقداتهم، أو لتغيير قناعات الآخرين؛ فإن الباطل لا يزيد الحق إلا خفاء، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وليتخذوا من صبر النبي ﷺ على الأذى ورفقه بمخالفيه وثباته في المحن زادًا لهم في مسيرهم ودعوتهم.

٧- على أهل الإيمان عدم تصديق الشائعات وترديدها بالألسن، وبخاصة ما يتعلق بالأعراض؛ فإن الله نهى المؤمنين أن يكونوا أبواقًا للمنافقين فيرددون كلامهم وافتراءاتهم بلا عقل **ولا** روية.

٨- يجب عدم التسرع في وصف الناس بالنفاق أو الكفر؛ لما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة،وقد قال النبي ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**»(١).

٩- على العلماء والدعاة وطلبة العلم أن يقوموا بواجبهم في نصرة النبي ﷺ، وأن يكونوا قدوةً للناس بأخلاقهم واتباعهم للنبي ﷺ في رفقه ولينه وعفوه وكمال نصحه صلوات الله وسلامه عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

* *

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٦١٠٤)؛ والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ١٩٩١م، رقم الحديث(٦٠).

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٥- أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري جابر بن موسى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٧- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد= التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

٨- تفسير القرآن العظيم=تفسير ابن كثير: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩- تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٠- تفسير القرآن= تفسير السمعاني: لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١١- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦م.

١٢- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان=تفسير السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

١٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه=صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: د.محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

١٧- السنن الكبير=السنن الكبرى، للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ هـ)، تحقيق: مركز هجر، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٨- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٩- شرف المصطفى ﷺ، للنيسابوري أبي سعد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي (ت٤٠٦ هـ)، تحقيق: نبيل بن هاشم الغمري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١- صحيح السيرة النبوية، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل أبي حفص سراج الدين عمر بن علي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ): تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.

٢٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ=صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩١م.

٢٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ): تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرايض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٢٧- المعجم الأوسط، للطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٨- مفاتيح الغيب=التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٩- النكت والعيون=تفسير الماوردي: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، إشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

* * *